قال : أبهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل واخبر المبرّد (ص٧٦٨) ان رجلًا وقف على قبر النجاشي فترحّم وقال: «لولا ان القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لأطنبتُ بل لأسهبتُ». ثم عقر ناقتهُ على قبره وقال (من الطويل) :

عقرتُ على قبر النجاشيّ ناقتي بأبيضَ عضبٍ اخلصَتْهُ صياقلُهْ
على قبر من لو انني متُّ قبلَهُ لهانت عليهِ عند قبري رواحلُهْ

وقال خديج بن عمرو اخو النجاشي يرثيه (معجم البلدان ٤ : ٣٥٢) :

من كان يبكي هالكاً فعلى فتًى ثوى بلوَى لَحْجٍ وآنَتْ رواجلُهْ
فتًى لا يُطيع الزاجرين عن الندى وترجع بالعصيان عنهُ عواذلُهْ

قال ياقوت : « لَحْج مخلاف في اليمن» (له صلة)

لبنان الكبير وسوريّة

الانتداب والاستقلال

بقلم الشيخ الادب المحقق سليم الدحداح

كانت الدول تُقسَم في عُرف كتبة الحقوق الدوليّة الى ثلاثة انواع : مستقلة ومحميّة وتابعة

فالمستقلّة (Etats souverains) هي ذات التصرُّف التامّ في ادارتها الداخليّة والخارجيّة . وعلاقاتُها مع غيرها من الدول مبنية على اساس المساواة كفرنسة وانكلترّة

والدول المحميّة (Etats protégés) اي الموضوعة تحت حماية غيرها هي المستقلة اداريًا في الداخل والخارج انّما لقاء الحماية التي طلبتها او التزمت بقبولها من دولة اقوى

منها — يلزمها التنازل لها عن بعض امور تتعلق باستقلالها سواء كان في الداخل ام في الخارج كتونس ومراكش . . .

أما الدول التابعة (Etats vassaux) فالمنوطة بغيرها في شؤونها على موجب حقوق الدولة المتبوعة . ولا يهمنا امرها في هذه العجالة . وقد نشأ عن هذه الحرب العظمى طريقة جديدة دعاها السياسيون باسم الانتداب (Pays à mandat) —

يصعب — حتى على الذين اخترعوا هذه الكلمة — تحديدها تماماً . فقد قالوا ان بعض الشعوب التي انسلخت عن الدولة العثمانية قد بلغوا درجة كافية من الرقي والتمدن تخولهم الحق بالاستقلال لكن قد وُجد مناسباً ان يكونوا تحت وصاية دولة (Etat mandataire) ذات اختبار ومعرفة ترشدهم وتسير بهم الى ان يصبحوا قادرين على ادارة امورهم دون مساعدة غيرهم

وقد اجتهد السياسيون بتحديد طريقة المساعدة هذه . لكن ما يسهل ايرادهُ نظرياً كثيراً ما يعتاص اجراؤهُ عملاً

ومن المعلوم انَّ الشعوب التي استقلَّت عن الدولة العثمانية سكانُ بلاد العراق وسورية ولبنان . فانتخبت جمعية الامم دولة بريطانية العظمى للانتداب في العراق وفرنسة في لبنان . وأما سورية فقد شاءت السياسة ان تُقطَّع اوصالها فاخذت الشطرَ الجنوبيَّ الساحلي واعدَّتهُ ليكون موطناً قومياً لليهود . والشطر الجنوبي الداخلي شُكِّلت منه امارةٌ اسندت مقاليدها لاحد ابناء الشريف حسين ملك الحجاز وكلاهما تحت الانتداب البريطاني . والقسم الشمالي وضعته تحت الانتداب الفرنسوي وهو وحده بقي حافظاً اسم سورية

ها قد مضى اربع سنوات ونصف على دخول جيوش الحلفاء هذه البلاد وانقاذها من مخالب الاتراك . وقد اخذ البريطانيون في جهاتهم والافرنسيون في سورية ولبنان يسعون للوصول الى ايجاد حالة تنظيمية موافقة لروح البلاد . ونحن الآن نقصر نظرنا الى الانتداب الفرنسوي . وبالاخص الى حالة لبنان الكبير

الانتداب الفرنسوي في لبنان

قد بحث الخطباء والصحافيون والمؤرخون في هذه السنوات الاربع في حالة

لبنان ويطالب كثيرون منهم بالاستقلال التامّ وينتقدون ما وضع من القوانين الاساسية حتى الآن. اما انا فانني — وان كنت على اتفاق معهم من حيث المبدأ — أرى انهم قد تطرّفوا او استسلموا الى الهوس في المطالبة به حاضراً

جميلٌ هو الاستقلال ويلذّ للانسان ان يتغنّى به ويطالب به . لكنهُ لا يتمُّ الّا بشروطٍ لا اجدها متوفرةً عندنا . ومن العجب العجاب ان طالبي الاستقلال التامّ يبنون اوّلاً مدّعاهم على حقوق تاريخيّة وثانياً على اهليّة البلاد الحاضرة للتمتّع بالاستقلال المذكور . وكلاهما باطل كما سترى

١ً ليس للبنانيين حقّ تاريخي للمطالبة بالاستقلال

انّ الحق التاريخي لا يخوّلنا الاستقلال التامّ. كلّ يعلم ان اراضي الدولة العثمانية قبل السلطان عبد العزيز وبالاخص قبل السلطان عبدالمجيد (١٨٣٩–١٨٦١) كانت تُقسم جميعها الى ايالات فتحتوي كل ايالة على اقسام او باشاويات عديدة تُعطى كلُّها او كلُّ واحدةٍ منها على سبيل الالتزام او الضمان لوزير تركي او لمتنفذ محلّي . وكثيراً ما كان هذا الملتزم يبقى فيها حياتهُ كلها واحياناً يتركها لابنهِ بعدهُ

ومن حسن حظ لبنان ان قسماً من اهاليه عاونوا الاتراك وحلفاءهم سنة ١٨٤٠ على محاربة ابرهيم باشا والمصريين وطَردهم من سورية فوعدهم الاميرال الانكليزي والسرعسكر العثماني بان الدولة تُبقي للبنان شكل حكومته وعوائدهُ السابقة . وأخذت الدول الاوربية من ذلك الوقت تمنع الدولة العثمانية من التداخل في شؤون لبنان الداخلية والتسيطر عليه رأساً كما عملت في سائر الولايات والتي شكّلتها على نسق اداري جديد

والذي يطالع تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي وتاريخ الامير حيدر شهاب واخبار الاعيان للمرحوم طنوس الشدياق يتحقّق جيّداً انه لم يكن للبنان ميزة خاصة سوى في بعض شؤون داخلية بحتة

فلمّا وقعت حوادث سنة ١٨٦٠ شاءت فرنسة في مدّة وجود عساكرها في لبنان من ١٥ آب من السنة الى حزيران ١٨٦١ ان تجعل الحكومة التي قررها مفوّضو الدول للبنان وراثيّةً في اسرة الامراء الشهابيين ورشّحت لذلك المرحوم الامير مجيد

قاسم شهاب حفيد الامير بشير الثاني الكبير . لكنّ فؤاد باشا اكتسب بدسائسه وكيلَ قائمقامية النصارى يوسف بك كرم واقنعه بان الدولة ستكافيه على خدماته وتعيّنهُ حاكماً على لبنان ان تمكّن من تقدمة عرائض ضدّ ترشيح الامير مجيد . وهكذا كان فان يوسف بك بتنفوذ وظيفته ومساعدة بعض وجـال الاكليروس الذين كانوا غير راضين برجوع الشهابيين استحضر لفؤاد باشا عريضةً عليها الوف من التواقيع احتجاجاً على تعيين الامير مجيد فنازت الدولة العثمانية برغوبها واما يوسف بك فلم يكسب سوى تعيين داود باشا متصرفاً على لبنان فكانت خيبته هذه السبب لكلّ ما جرى لهُ بعدئذٍ .

فالدول اذاً هي التي ثبتت لنا استقلالنا الاداري الداخلي اول مرة سنة ١٨٤٠ وثاني مرة ١٨٦٢ حينما ساعدتنا على احتجاجنا ضـد تعيين عمر باشا وثالث مرّة حين اجبرت الدولة العثمانية سنة ١٨٦٠ على قبول تشكيل متصرفيّةٍ وضع قناصلها نظام دستورها

٢ لا استعداد في لبنان حاضراً للتمتّع بالاستقلال التامّ .

هذا من الوجه التاريخي . اما من وجه استعداد اللبنانيين للاستقلال التام فاقول : ان الحق الذي ليس وراءهُ قوّة تسندهُ وتعضدهُ يبيت غالباً في حكم العدم . قضى آخر امبراطور الماني من اسرة هَبسبرج وكان اسمهُ شارل السادس ثلاثين سنة وهو يسترضي جيرانه من الملوك وروساء الحكومات ليصدّقوا على صكّ سرّهُ ليترك بموجبهِ مملكته بعد وفاتهِ الى ابنتهِ ماري تريزة الشهيرة . فقال خصمها فردريك الثاني ملك بروسية : ان وجود مائتي الف جندي تامي العُدّة لأفضلُ من كل هذه العهود والتواقيع ! . . . وقد وضع الخطيب لاكوردار الشهير وامتاذه لامنيه شعاراً لجريدتهما المستقبل « الحرّية توخذ ولا توهب »

فاين هي عدّتنا للحصول على الاستقلال والمحافظة عليه ؟

ان بلجكة كانت منذ استقلالها موضوعة تحت ضمانة الدول — لكنهـا لو لم تدافع بالسيف عن حدودها واستقلالها ورأت اوربّة بزيد التعجّب استبسال جيشها الصغير وسموّ مبادئ عاهلها الشريف وتأكّدت انكلترّة عظم الخطر على كيانها لو

سقطت بلجيكة لما كانت تداخلت في هذه الحرب واستمرت اربع سنوات ترسل ابناءها ورجال مستعمراتها للموت في سهول بلجيكة وفرنسة الى ان رضيت اخيرًا بوضع مارشاليتها وأعلامها تحت تصرف القوّاد الفرنسويين !

فنحن ابناء لبنان الكبير على اي عدوّ انتصرنا ؟ واين هو جيشنا حتى نطلب الاستقلال التامّ ؟ وضد اي عدوّ خارجي يمكننا المدافعة عن هذا الاستقلال طالما لا نقدر على ايجاد الأمن في داخلية حدودنا ؟ كيف نطلب الانتداب الفرنسوي او ضمانة الدول (عند بعض الاحزاب) ونحن لم نشكل حتى الآن حكومة منتظمة ؟

والذي يتوهّم فينا منتهى الحكمة وتمام الاستعداد الى الحكم الذاتي والاستقلال الناجز التام ما عليه الّا مراجعة محاضر جلسات المجلس النيابي الموقّر فيتأكّد درجة استعدادنا للقيام بالخدمة العسكرية – عند مسيس الحاجة – واتحادنا لاجل تأمين العدالة وتحقيق المساواة والابتعاد عن كل ما يشين سمعة الدولة ! . . . كيف نرى لزومًا لوجود الانتداب او لضمانة الدول ونحن نعتبر الاجنبي كتهويل (بُعبع) نخوّف بعضنا باسمه او بمجيئه لاحتلال اساكلنا مع ان وجودنا هو من نعمة احتلاله بلادنا ! لماذا تقبل تلك الدولة الانتداب ولماذا ترضى ان تضمن لنا استقلالنا اذا لم تختص بامتياز في هذه الارض المدينة لها بكيانها ولو الى وقتٍ ما ؟

اين هي عدليّتنا فيقبل الاجنبي التنازل عن امتيازاته ليرضخ لاحكامها وما هو الضمان لاستقلالها ؟

ان العدل اساس الملك والعدل تسنده القوّة ولا قوّة الّا بالمال الذي هو للدولة كالاعصاب للجسم فلنجد قوةً وثروةً تعضدان دولتنا بعد ان نبنيها على العدل وحينئذٍ يعرف مرشدنا انه لم يعد من لزوم لوجوده عندنا فيتنازل عن وصايته ويذهب والّا لو بقيت هذه حالتنا فكيف يمكنه ان يتركنا وشأننا ان كان حقيقة يريد لنا الخير

لا يُنكر ان البعض من رجال الانتداب لم يحسنوا التصرّف في القيام بما أُسند اليهم من الوظائف بيننا ولكن أيجوز ان نبني على غلطاتهم واعمالهم واعمالهم الشاذّة حجّة تثبت اقتدارنا وكفاءتنا وامكاننا للاستغناء عنهم ؟

فلنُظهر لدولة الانتداب الكريمة اتفاقنا على اجراء كل ما ينفع وطننا ويُعلي شأنه تاركين جانباً غاياتنا الخاصّة ونعرات التعصّب الطائفي وانقساماتنا الدينيّة ونعمل

مسترشدين بنصائح رجالها المرسلين لإرشادنا وتواصل السعي لتعميم المعارف وتحسين المبادئ وتوفير ثروة البلاد وايجاد الامن لاقناع المهاجرين العودة الى الوطن بما اغتنموه من الاختبار والثروة المادية وجعل بلادنا مركزاً تؤمه الاجانب للاصطياف والسياحة وهكذا يتسنى لنا يوماً التمتع بالاستقلال التام الذي نكون اكتسبناه بعملنا والاّ فاننا في خطر من فقد ما أعطي لنا عفواً

ان فرنسة صديقتنا ومحامية اجدادنا قد اعتنت فينا بصورة خاصة فقد انتدبت حتى الآن ليمثلها بيننا ثلاثة من كبار رجالها اولهم المسيو جورج بيكو الذي عرفناه قنصلاً عاماً قبل الحرب. فكان تفوره الدائم من الجنرال اللنبي موجباً لاستبداله سيما وان الاتفاق باستبدال العساكر الانكليزية بالجيوش الفرنسوية كان يستازم وجود كوميسير عسكري — ثم اتانا الجنرال غورو وهو الذي اوجد دولة لبنان الكبير ونظم سورية والآن بعد ان قضى عندنا ثلاث سنوات ونصف استدعي الى عضوية المجلس العسكري الاعلى فخلفهُ الجنرال كيفان رئيس اركان حرب المارشال فوش ومنقذ بولونية. فكما انه انقذ بولونية من جيوش البلشفيك ننتظر من همتهِ ان يوطد الامن في لبنان وسورية ويرشدنا الى سواء السبيل

ملحق بالمقالة السابقة

انتقاد على بعض ما ورد في كتاب الاستاذ سوداء بين القديم والحديث

جاء في حاشية الصفحة ١٠ من بحث الاستاذ يوسف افندي السودا في نظام لبنان المعنون «بين القديم والحديث» ما حرفهُ :

« وقد فخر الدين المعني الكبير الحكومة واسس الامارة اللبنانية فتعاقب الامراء عليها من نجر الجيل السابع عشر كما يلي» :

المعنيون		الشهابيون	
فخر الدين الثاني ولد	١٥٩٨–١٦٣٥	الامير بشير الاول	١٦٩٧–١٧٠٧
الامير ملحم حكم	١٦٣٥–١٦٥٨	الامير حيدر	١٧٠٧–١٧٣٢
الامير احمد «	١٦٥٨–١٦٩٧	الامير ملحم	١٧٣٢–١٧٥٤
		الاميران احمد ومنصور	١٧٥٤–١٧٧٠

الامير يوسف	١٧٧٠–١٧٨٨
الامير بشير الثاني الكبير	١٧٨٨–١٨٤٠
الامير بشير الثالث	١٨٤٠–١٨٤٢

عهد القائمقاميتين

النصرانية		الدرزية	
الامير حيدر ابي اللمع	١٨٤٢–١٨٥٤	الامير احمد ارسلان	١٨٤٢–١٨٤٥
الامير بشير احمد ابي اللمع	١٨٥٤–١٨٦٠	الامير امين ارسلان	١٨٤٥–١٨٥٩
يوسف بك كرم	١٨٦٠–١٨٦١	الامير محمد ارسلان	١٨٥٩–١٨٦١

قد نشرت مؤخرًا جريدة اخرى هذه الحاشية على علّاتها بدون ان تنتبه الى ما حواه هذا الجدول من الهفوات التاريخية العديدة . ولهذا رأيت مناسباً ان أقدّم لحضرة مؤلفه الفاضل الاستدراكات الآتية :

اولًا : يُفهم من عبارته ان هؤلاء الامراء المعنيين منذ فخر الدين الكبير ثم الشهابيين قد حكموا كافّة انحاء لبنان الحالي او على الاقل كافّة ملحقات المتصرفية اللبنانية والحال ان ذلك مخالف للحقيقة التاريخية . فان الذين حكموا لبنان القديم كلّهُ هم اربعة امراء فقط لا غير وهم الامير فخر الدين الثاني الكبير والامير يوسف شهاب والامير بشير الثاني الكبير والامير بشير الثالث . واما سائر الامراء المعنيين والشهابيين الذين ذكرهم فلم يتناول حكمهم سوى القسم الجنوبي من متصرفية لبنان اي لحدّ وادي المعاملتين شرقًا . وكان هذا الوادي يفصل لبنان الى قسمين فالقسم الجنوبي كان يُعرف بمعاملة صيدا وهو الذي كان خاضعاً للامراء المعنيين وبعدهم للامراء الشهابيين . امّا سائر لبنان الموجود شمالي وادي المعاملتين فكان يُعرف باسم معاملة طرابلس وهذا القسم لم ينضمّ الى القسم الجنوبي الّا في عهد الامراء الاربعة السابق ذكرهم . وعليه لا يصحّ لقب امراء لبنان الّا على هؤلاء الاربعة فقط واما سائر الامراء الحكّام من معن وشهاب الوارد ذكرهم في الجدول فلا يصحّ تسميتهم الّا كما عرفهم التاريخ وكما عرفتهم الدولة العثمانية اي باسم حكّام جبل الدروز او حكّام معاملة صيدا .

ثانياً ذُكر في تاريخ فخر الدين الثاني انه ولد سنة ١٥٩٨ والحال ان البطريك

الدويهي (في تاريخه المطبوع الصفحة ١٢٨ و ١٢٩) يقول ان الامير قرقماس معن امير جبل الدروز اختبأ خوفاً من ابرهيم باشا المرسل لقصاص امراء لبنان وتوفي سنة ١٥٨٤ تاركاً ولدين صغيرين هما فخرالدين ويونس . وقد جاء مثل ذلك في اخبار الاعيان للمرحوم طنوس الشدياق (في الصفحة ٢٥٢) — وقد زاد الشدياق (في الصفحة ٢٣٢) بان الامير علي بكر ابن الامير فخرالدين هذا قُتل في احدى المواقع التي جرت قبل أسر والده في البقاع سنة ١٦٣٤ وكان عمره ستة وثلاثين عاماً وعليه يكون علي ابن الامير فخرالدين هو الذي ولد سنة ١٥٩٨ واما والده فخرالدين الثاني الكبير موضوع كلامنا فقد كان مولوداً قبل سنة ١٥٨٤ وهي سنة وفاة والده وبما انهُ كان ولد له اولاد في سنة ١٥٩٨ يجب ان تكون ولادته وقعت نحو السنة ١٥٧٨

ثالثاً وفاة الامير بشير الاول وامارة خلفه الامير حيدر حدثتا في سنة ١٧٠٦ وليس ١٧٠٧ كما ورد في اخبار الاعيان للشدياق

رابعاً الامير احمد والامير منصور شهاب لم يحكما سوية الّا ست سنوات اي من ١٧٥٤ الى ١٧٦٠ ثم انفرد الامير منصور بالحكم من السنة ١٧٦٠ الى السنة ١٧٧٠

خامساً لم يدم حُكم الامير بشير الثالث الّا احد عشر شهراً من تشرين الاوّل ١٨٤٠ الى ايلول ١٨٤١

سادساً سها الكاتب ان يذكر اسم عُمر باشا النمسوي الاصل وقد تولّى حكم لبنان من ايلول ١٨٤١ الى نهاية ١٨٤٢

سابعاً بدء قائمقامية الامير حيدر ابي اللمع والامير احمد ارسلان كان في السنة ١٨٤٣ وليس ١٨٤٢

ثامناً انتهت قائمقامية الامير محمد ارسلان في ايلول ١٨٦٠ وليس سنة ١٨٦١ كما جاء في الجدول

تاسعاً كُفّت يد الامير بشير احمد ابي اللمع عن ادارة قائمقامية النصارى في السنة ١٨٥٩ وتعيّن وكيلاً للقائمقامية الامير حسن ابي اللمع من امراء بسكنتا

عاشراً لمّا جاء فؤاد باشا قومسيراً عثمانياً سامياً وحضرت القوّات الفرنسويّة أمرَ فؤاد باشا بكفّ يد الامير محمد ارسلان عن قائمقامية الدروز واقام ضيّاطاً

عثمانيين وكلاء موقتين للحكومة في المراكز المهمة مثل بعقلين وجزين والمختاره والشويفات وغيرها من الاماكن. واما في القائمقامية النصرانيّة فقد اقام وكيلاً يوسف بك كرم فدامت وكالته من تشرين الثاني ١٨٦٠ الى ٩ حزيران سنة ١٨٦١. فكيف يصح ذكر اسم هذا الوكيل لاحدى قائمقاميتي لبنان بين اسماء امراء لبنان؟ واذا صح فلماذا لم يُذكر اسم الامير حسن الذي جاء يوسف بك وكيلاً بعده ؟

فمن هذه الملحوظات يرى القارئ كم نحن في احتياج الى التدقيق في معرفة تاريخنا .

عاديّات سوريّة ومصر المكتشفة حديثاً

نظر عامّ للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ثانياً: عاديات مصر

تُعَدّ السنة ١٩٢٢ من ابين السنين واسعدها في تاريخ اكتشافات العاديّات المصريّة. فانّ عالمَ العلم اهتزّ طرباً اذ اشاع البرق في تشرين الثاني الاخير اكتشاف مدفن توت عنخ امون وكنوزه الدفينة التي لم تنتهكها ايدي قدماء اللصوص المصريين ولا مطامع العرب من اهل البادية .

فتواردت برقيّات التهاني من كل انحاء المعمور الى اللورد كرنرفون والى رفيقه الاثري هوَرْرد كَرْتر لما توفّقا الى العثور على اسراره . واخذ الاختصاصيّون في تدوين المقالات المطوّلة عن ذاك الفرعون الذي لم يكن له سابقاً سمعةٌ مستفيضة فلم يبلغ من المجد ما نالهُ اسلافهُ من سلالة الدولة الجديدة الثامنة عشرة . ثمّ عن الكنوز الغريبة التي وُجدت في حُجَر مدفنه . على انّ هذه الفصول المبهجة امتزج بها بعض الكدر بما شاع عن وفاة اللورد كرنرفون الذي تكلّف على البحث عن هذه العاديّات المبالغ الوافرة فاخترمتهُ يد المنون في الشهر السابق قبل ان يتمتّع بثمرة استخراج دفائن القصور وقد ذهب ضحيّةً للعلم مسموماً بفعل احدى ذبابات وادي الملوك لولا انّ اسمهُ سيبقى مخلّداً في بطن التاريخ كلّما تكرّر ذكر هذا الاكتشاف العجيب